ذلك الى الهجوم . ولقد ذكرنا ان هدف الهجوم تحقيق مكاسب ايجابية وان هدف الدفاع الحفاظ على ما نمتلكه . ومن المؤكد ان المحافظة على شيء يود الخصم انتزاعه أسهل من اكتساب شيء من بين براثن الخصم . بيد ان الطبيعة السلبية لهدف الدفاع تجعلنا لا نلجأ اليه الا اذا أجبرنا ضعفنا على ذلك . وان من واجبنا — ان شئنا تطبيق قوانين الحرب والعمل وفق جوهرها — التخلي عن الدفاع عندما نحس بنمو قوتنا وقدرتها على تحقيق هدف ايجابي . من هنا نستنتج ان بدء الطرف الاضعف بالقتال دفاعيا والانتقال بعد ذلك الى الهجوم هو تطور طبيعي في الحرب .

بيد ان الحديث عن الهجوم وتسليط الاضواء على ما يمكن أن يحققه من أهداف ايجابية لا يعني تفضيله على الدفاع بشكل مطلق . والعلاقة بين النوعين مترابطة جدلية . وكما ان الهجوم بمعناه الشامل يحمل في طياته بعض عمليات الدفاع ، فان على الدفاع أن يتضمن الكثير من العمليات الهجومية . وكما « ان القدرة على الهجوم غير المعززة بالقدرة على الدفاع هي أدنى من هاتين القدرتين مجتمعتين »(٣)، فان « الحرب التي لا تفيد الانتصارات فيها الا لصد الضربات والتي لا نحاول فيها رد كل ضربة بضربة مماثلة حرب رعناء كالمعركة التي يسود فيها الدفاع المطلق (السلبية) في كل التدابير المتخذة»(٤) والفرق بين الهجوم والدفاع هنا هو أن الهجوم يبدأ **بالعمل** — لانه قادر على ذلك — على حين يبدأ الدفاع **بالانتظار** ويستفيد منه الى أبعد حد ممكن لينتقل بعد ذلك الى **العمل** الذي يبدأ بتدمير العدو بالنار ثم يتطور حتى يصل الى تدمير العدو بالنسار والصدمة (الهجوم المعاكس) . ومن الضروري اعتبار انتقال المدافع الى تسديد الضربة المعاكسة **ميلا طبيعيا للدفاع** وان نرى في هذه الضربة **جزءا أساسيا ولازما** لكل دفاع ديناميكي يتمتع بحس سليم وقدرة على استغلال نقاط ضعف الخصم وطرق الحديد وهو ساخن . ان أروع لحظات الدفاع هي اللحظة التي يكتشف فيها المدافع ثغرة في أوضاع المدافع وترتيباته فيسدد لها ضربة جريئة سريعة مدمرة . وكل من لا يفكر بهذا الشكل منذ بداية الصراع ولا يخطط للضربة المعاكسة ولا يدخلها في مفهوم دفاعه ، ويعتقد ان الصد وحده قادر على تحقيق النصر مهما كبرت قيمة « هدف النزاع » عبارة عن شخص لا يمكن أن يعي جوهر الحرب وجدلية الهجوم والدفاع وعلاقاتهما المتبادلة ، علاوة على انه — حسب تعبير كلاوزفيتز — « يفكر بطريقة تضييق العقدة لا بطريقة حلها » .

وضمن اطار الحديث عن الدفاع العربي النابع من الاستراتيجية العربية الدفاعية — القائمة حاليا ، والتي ما زالت قائمة منذ نشوء اسرائيل — لا بد لنا من تحديد دور قواعد المقاومة الفلسطينية الموجودة خارج الارض المحتلة في مجابهة أي عدوان مقبل . ومثل هذا العدوان أمر منتظر بل ومحتوم طالما أن المقاومة الفلسطينية الموجودة في سوريا وجنوبي لبنان تشكل خطرا كامنا على أمن المستعمرات وخطوط المواصلات ، وطالما ان العدو العاجز عن رفع مستوى ردع المقاومة عن طريق « التلويح بالقوة » أو عن طريق « الردع غير المباشر » قد قرر تجاهل « الحدود السياسية » وتبنى مبدأ « الحدود الايديولوجية » الذي يخوله حق اجتياز الحدود برا وجوا والتغلغل عبر المياه الاقليمية ومطاردة رجال المقاومة حيثما وجدوا (راجع مقال العمل والردع في الاستراتيجية الاسرائيلية ، العدد ١٧ من مجلة شؤون فلسطينية) واذا كان من المهمات الاستراتيجية الاساسية اليومية لقواعد المقاومة المتمركزة في البلدان العربية المضيفة دعم المقاومة داخل الارض المحتلة وتموينها وامدادها ورفع مستوى التعبئة السياسية النضالية بين صفوف الجماهير بالاضافة الى تسديد ضربات اليمة لثغرات العدو الكثيرة، ولمواقعه الاقتصادية والعسكرية المنتشرة في كل أرجاء الارض المحتلة ، ضمن خطة

٣ — الجنرال فولر ، **تاثير التسليح في تاريخ الحضارات** ، ص ١٩ — ٢٠ .

٤ — كلاوزفيتز ، **في الحرب** ، الكتاب السادس ، الفصل الاول ، ص ١١٧ .